اسم المادة : مصادر تاريخ المقاومة الوطنية خلال القرن 19

المحاضرة الثالثة: الكتابات التاريخية الفرنسية

تشكل الكتابات التاريخية الوعاء الآمن لحفظ ذاكرة الشعوب و الأمم، فهي جديرة بالعناية و الاهتمام بها، و تاريخ الجزائر المعاصر زاخر بما يجعل منه مادة دسمة لهذه الكتابات، و التي يبدو أنها لا تزال تفتقر إلى مزيد من العناية والاهتمام، ولعل مرد ذلك إلى زخم الأحداث و تسارعها ، حيث أنها ترتبط من جهة بالاحتلال الفرنسي و مشروعه الاستيطاني الواسع عبر كامل التراب الوطني ، و في المقابل نجد المقاومات الشعبية الكثيرة بنوعيها الرسمية و غير الرسمية ، المنظمة وغير المنظمة التي واجهت هذا الاحتلال الاستيطاني.

تمثل المذكرات الشخصية لقادة الاحتلال إحدى أهم المصادر التي أرّخت إلى تاريخ المقاومات الشعبية التي واجهها جيش الاحتلال. وتتمحور إشكالية البحث في موضوع دراستنا هذه حول البحث في مدى مساهمة مذكرات قادة جيش الاحتلال في اعتبارها مصدرا هاما في كتابة تاريخ هذه المقاومات.

ساهمت الكتابات الفرنسية الكولونيالية بحظ أوفر في كتابة تاريخ المقاومات الشعبية وذلك لكون الحملة الفرنسية جلبت معها الكثير من المترجمين والعلماء و نخبة من القادة العسكريين من خيرة الجيش الفرنسي، اضافة الى كثرتها وقوتها في كونها عايشت الاحداث وضبطت تاريخ الحملة وكل المقاومات الشعبية مقارنة مع قلة المصادر والكتابات الجزائرية.

ومن بين هذه المصادر نجد المجلة الافريقية La revue africaine، التي أنشأها الفرنسيون، تناولت في معظم أعدادها المقاومات الشعبية بأقلام فرنسية، وأهم ما يميز كتاباتها كونها سجلت وقائعها وأحداثها من وجهة نظر فرنسية كولونيالية. في إطار التأريخ لنشاط الجيش الفرنسي في الجزائر والترويج لبطولاته وانجازاته في اخماد المقاومات الشعبية. و قد تجسدت اهم الكتابات في المجلة الافريقية 1856-1962، كتابات بير بروجر الذي عمل على إلحاق الجزائر بالغرب والمسحية والفرنسة، نذكر أيضا جهود ألبير دوفو)DEVOULX Albert(التي نشرها على شكل مقالات بالمجلة الإفريقية بين 1861 و 1870 ثم أخرجها في كتاب سنة 1874، وهو أيضا جهد كبير لخدمة أهداف الحملة. و شارل بروسلار فقد درس الكتابات الأثرية بالغرب الجزائري... تحت عنوان "النقوش العربية بتلمسان".

شرعت الادارة الاستعمارية الفرنسية منذ السنوات الاولى للاحتلال في تنفيذ مشروعها الاستعماري بطريقة علمية في الاهتمام بالاثار القديمة التي جزء منها يمتد إلى التواجد الروماني، ولدراسة تاريخ الجزائر عبر العصور وباعتبار أن الفرنسيين كانوا يطلقون على الجزائر تسمية إفريقيا ومنها جيش إفريقيا، فأنشأت لجنة استكشاف الجزائر العلمي سنة 1837،انجزت موسوعة استكشاف الجزائر العلمي من 39 مجلدا سنة 1839، وألفت في ذلك الكتب مثلما فعل دولامار سنة 1840 ، وأسست في السنة نفسها المتحف الجزائري بباريس، والجمعيات الأثرية بقسنطينة والجزائر ووهران 1852. وجعلوا لها دوريات متخصصة وهي: "مجموع نشرات ومذكرات الجمعية الأثرية لمقاطعة قسنطينة" و عمل وزارة الحربية باعتبار أن الجزائر كانت تسّير بطريقة مباشرة من طرف وزارة الحربية، فقد ألف الفرنسيون سجل الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

كما أنشأت المفتشية العامة للآثار التاريخية والمتاحف الأثرية بالجزائر سنة 1854. تجمعوا ايضا حول جمعية قسنطينة للاثار، والجمعية التاريخية الجزائرية.

حوليات بيليسي نموذجا:

ولد دي رينو بيليسي يوم 06 نوفمبر 1794م "بماروم بمقاطعة السين ، دخل في عام 1814م إلى مدرسة سان سير العسكرية ، بعد امتحان قوي و أداء عسكري ماهر، قبل على إثره في سلك القيادة العامة المنظمة من قبل المارشال قوفيان بسانت سير وبعدها نال رتبة ملازم أول شهر أوت من ديسمبر 1820م ، كان نقيبا في 1828م عندما أرسل إلى اليونان واستولى على قصر مورد وفي 1842م تمت ترقيته إلى كولونيل وشارك في معركة ايسلي بالمغرب وكذلك في حروب "سيباستوبول" الواقعة في المشرق ما يعرف بحرب القرم وتحصل على ألقاب شرفية ثم عاد إلى فرنسا ودخل مجلس الشيوخ في 1860م عين حاكما عاما على الجزائر ،عاش في الجزائر اثني عشر سنة (1830م – 1842م) ويعتبر من السان سيمونيين(مذهب ايديولوجي فكري ظهر في أوروبا كانت له أي هذا المذهب اليد الطولى في توجيه الحركة الاستعمارية بشمال افريقيا ببلاد المغرب العربي و مصر) وقد قيل أنه تزوج من جزائرية، استطاع أن يتقن ويتعلم اللغة العربية بعد ما التحق بمدرسة اللغات الشرقية وتوفي في 22 ماي 1864م في الجزائر .

تجسد نشاطه على العمل العسكري خلال عملية الاحتلال حيث شارك في الحملة على الجزائر في عام 1830م وحصل على ترقية في 2 اكتوبر من نفس العام .أصبح عضوا في البرلمان وسفيرا بلندن في 23 مارس 1848، قاد حملة ضد القبائل الصحراوية ونال فيها قائد جوقة شرف، كما ساهم في محارق الظهرة 1845م وتمت ترقيته بموجب ذلك في 22 أفريل 1846م إلى رتبة مارشال أصبح حاكما عاما للجزائر بالنيابة في 10ماي 1851، وهذا ما جعله يتحصل على الميدالية العسكرية يوم 13 أوت 1852م ثم تكفل بالحملة على الجنوب وهو الذي احتل مدينة الأغواط و شارك في محرقة الاغواط رفقة الجنرال ماريموش والجنرال جوسيف برسنانتي للقضاء على مقاومة الناصر بن شهرة في الاغواط.

تكمن أهمية هذه الحوليات في كونها تعتبر عند الدراسين محاولة موضوعية لتاريخ العشرين سنة الأولى من الاحتلال الفرنسي، فتمكن الكاتب من الوثائق بحكم معاصرته للأحداث وتوليه قيادتها بنفسه ، كان هدف الكاتب من كتابه حوليات جزائرية هو الهواية الشخصية لتسجيل الانطباعات ووصف الأحداث و التعليق عليها، فهذا الكتاب زود تاريخ الجزائر المعاصر بمعلومات قيمة للمكتبة العربية ، ساعده في ذلك قربه من مصدر القرار و حسه التاريخي.

أهم ما أرخ له فيها اقتصر على ذكر جملة من الأحداث الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر و القادمة من ميناء تولون باتجاه شاطئ سيدي فرج يوم 14 جوان 1830 حسب خطة بوتان و التي قادها كل من الجنرال دي بورمون و الأميرال ديبيري يذكر فيها تفاصيل الرحلة و تعدادها في تدوين الحملة.

- الانزال بسيدي فرج ومعركة الاسطى والي و حيثياتها ومجرياتها و يشير الى مشاركة أحمد باي حاكم قسنطينة في الدفاع عن العاصمة تحت قيادة القائد ابراهيم آغا و يشير الى أن الداي حسين كان على علم بمحاولة الانزال عبر سيدي فرج منذ أكثر من ستة أشهر
- الحملة على المدية عاصمة بايلك التيطري
- معاهدة دي ميشال في 26 فيفري 1834 بين دي ميشال و الامير عبد القادر
- **معركة المقطع 1835م:**

- أدرك الأمير عبد القادر منذ البداية أن المواجهة لن تتم إلا بإحداث جيش نظامي مواظب تحت نفقة الدولة .لهذا أصدر بلاغا إلى المواطنين باسمه يطلب فيه بضرورة تجنيد الأجناد وتنظيم العساكر في البلاد كافة.فاستجابت له قبائل المنطقة الغربية و الجهة الوسطى، و التف الجميع حوله بالطاعة حيث كون منهم جيشا نظاميا سرعان ما تكيف مع الظروف السائدة و استطاع أن يحرز عدة انتصارات عسكرية أهمها معركة المقطع التي أطاحت بالجنرال تريزيل و الحاكم العام ديرليون من منصبيهما.

- تعتبر من أهم المعارك التي انتصر فيها الامير عبد القادر على الجيش الفرنسي بقيادة تريزل في 18 جوان 1835م إذا اعترفت فرنسا بهزيمتها ، حيث خسرت فيها أكثر من 380 قتيلا و 200 جريحا و 17 سجينا.

- ولما رأت الإدارة الفرنسية أن عملية الاستيلاء على الأراضي وتوزيعها على المستوطنين الأوربيين هي الأسلوب الأنجع لفرض هيمنتها على الجزائر والجزائريين راحت تواصل عملية الاستيطان الرسمي والحر في آن واحد وأصدرت في هذا الشأن قرارا عاما يقضي بوضع أراضي الأعراش تحت التنظيم الفرنسي، وذلك طبقا لقانون السيناتوس "كونسولت (Consulte – Senatus (الصادر في 22 أفريل 1863.